نشأة النّقد الثقافيّ ومفهومه وتطوره وأنساقه

الباحثة: ريم شكري علي كتكت، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الإسراء
الدكتور عمر عبدالله العنبر ، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الإسراء
Omar.al-anbar@iu.edu.jo

الملخص: يُعنى هذا البحث بتبيان نشأة النقد الثقافي ومفهومه وأنساقه، إذ يأخذ على عاتقه النظرة التأريخية التطورية للنقد الثقافي عند الغرب، وينتقل إلى نشأته عند العرب، لتوضيح أبرز المراحل التي مرّ بها النقد الثقافي، ويبين أهم الأعلام الذين أثرَوا مسيرة هذا النهج الجديد في النقد الأدبي. ويُرصد البحث التطور الزمني لمفهوم النقد الثقافي واستقرار مقولاته النقدية، وإظهار المصطلحات والمفاهيم المرتبطة به كالأنساق الثقافية، والنقد السياقي، وغيرها، وذلك وفقاً لخطوات المنهج الوصفي التحليلي القائم على الاستقراء، والمفضي إلى النتائج التجريبية العلمية، وقد انقسم البحث إلى قسمين أولهما نشأة النقد الثقافي عند الغرب والعرب، والآخر مفهوم النقد الثقافي ومفهوم الأنساق الثقافية، وقد توصل البحث لعدد من النتائج من أهمها تأثر مصطلح النقد الثقافي بالثقافة العربية، ووجود إرهاصات قديمة لنشأة هذا النوع من أنواع النقد عند الغرب والعرب معاً.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، الأنساق الثقافية، الغذامي، النقد الجديد.

Abstract: *This research is concerned with showing the origin, concept and formats of cultural criticism, as it takes upon itself the evolutionary historical view of cultural criticism in the West, and moves to its inception among the Arabs, to clarify the most prominent stages that cultural criticism has gone through, and shows the most important figures who influenced the march of this new approach to literary criticism. The research monitors the chronological development of the concept of cultural criticism and the stability of its critical statements, and the manifestation of terms and concepts associated with it such as cultural patterns, contextual criticism, and others, according to the steps of the descriptive analytical approach based on induction, leading to scientific experimental results, the research has divided into two parts, the first of which is the emergence of cultural criticism in the West and the Arabs, and the other is the concept of cultural criticism and the concept of cultural patterns, and the research has reached a number of results, the most important of which is the impact of the term cultural criticism of Arab culture, and the presence of ancient harbingers of the emergence of this type One of the types of criticism among the West and the Arabs together.*

Keywords: *cultural criticism, cultural patterns, dietary, new criticism.*

المقدمة

يمثل النّقد الثقافيّ أحد أنماط النّقد السياقي الذي يعتمد بطبيعته على السياقات المحيطة بالعمل الأدبي، ويسعى لإظهار الأثر الذي تتركه تلك السياقات ضمن ذلك العمل، وصولاً إلى تحقيق نظرة نقدية شاملة لذلك العمل، موسومة بالأطر السياقية التي تحيط به.

وتتنوع آليات النقد الأدبي الحديث انطلاقاً من طبيعة المنطلقات التي تنتمي إليها، ومن ناظر إلى النقد على أنه نابع من النص نفسه ومن بنيته الهيكلية، إلى ناظر بأنه مرتبط بالجوانب السياقية بأشكالها المتنوعة التي تعين الناقد على فهم عناصر العمل الأدبي، ومن ثم الوقوف عند مظاهره النقدية المتنوعة، وهذا كله ناتج من الخطوات الواسعة التي خطاها النقد الأدبي في عصرنا الحديث، ونظرته للعمل الأدبي على أنه بيئة خصبة للوصول إلى ما وراء الخطاب الأدبي.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في مراجعة النقد الثقافي وإعادة النظر في أدواته، وتسليط الضوء على دور الأنساق الثقافية في النقد من خلال تتبعه لنشأة النقد الثقافي، وتطور مفهومه، وبيان أبرز العلماء الذين تحدثوا عن النقد الثقافي.

ويهدف هذا البحث إلى:

1. تقديم مراجعة لأهم مفاهيم النقد الثقافي.
2. الكشف عن المراحل التاريخية والإرهاصات الأولية التي سبقت ظهور النقد الثقافي عند الغرب والعرب.
3. توضيح الخصوصية النقدية للنقد الثقافي، وبيان قيمته النسقية في المجتمع، وربطه بسياقاته الاجتماعية المتعددة.
4. بيان أبرز المصطلحات التي ترتبط بميدان النقد الثقافي، وأهم العلماء الذين ساهموا في نشأة النقد الثقافي عموماً.

المبحث الأول: نشأة النّقد الثقافيّ وتطوره عند الغرب والعرب

نشأ النّقد الثقافيّ نشأة غربية في أعقاب الحرب العالمية الثانية اعتماداً على ظهور الدراسات الثقافيّة بصفة عامة، والإفادة من مفهوم الثقافة ضمن المنجزات الاجتماعية والتاريخية والسياسية ونحوها، إذ أدى هذا التطور في مفهوم الثقافة عموماً إلى تطور في نظرة الفلاسفة والنقاد إلى دور الثقافة ضمن الإطار النّقدي للنصوص الإبداعية"[1].

[1]. التميمي، عبد الله حبيب، و الشجيري، سحر كاظم(2014). سيرورة النّقد الثقافيّ عند الغرب، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، 22 (1)، ص160، 162 – 163، [بتصرف].

نشأة النقد الثقافي عند الغرب

"ترجع بدايات النّقد الثقافيّ للدراسات الثقافيّة ولاسيما ما جاء عند مدرستي فرانكفورت[1]وبرمنجهام[2] اللتين عنيتا بالدراسات النّقدية وفق منهج سوسيولوجي نقدي وفق معطيات ثقافيّة، وقد كان لهذه الدراسات الأثر البالغ في ميلاد النّقد الثقافيّ في ثمانينات القرن الماضي على يدّ الأمريكي فنشان ليتش[3]"[4]. غير أن النشأة الأولى للنقد الثقافيّ كانت بمثابة إرهاصات فلسفية وفكرية لم ترقَ لكونها نشأة قياسية يمكن الاعتماد عليها، وذلك من خلال مقالات فكرية جاء بها بعض النقاد، وترجع أولى الإرهاصات لنشأة النقد الثقافيّ في أعقاب الحرب العالمية الثانية، إذ "ظهر النّقد الثقافيّ كمصطلح في مقالة شهيرة للمفكر الألماني "تيودور أدورنو[5]" التي تعود إلى 1949م عنوانها "النّقد الثقافيّ والمجتمع" وفي هذا المقال قام " أدورنو" بربط النّقد الثقافيّ بالبرجوازية الأوروبية"[6].

وكانت المحاولة الثانية التي قام بها "يورغن هابرماس[7]"زميل" "أدورنو" وذلك في كتاب مميز حمل عنوان" المحافظون الجدد: النّقد الثقافيّ والحوار التاريخي غير أنّ "هابرماس" لم يحاول الخوض في النّقد الثقافيّ في الأقل تعريفه واكتفى بما قاله "أدورنو" عن طبيعته"[8].

---

[1]. مدرسة فرانكفورت: مدرسة للنظرية الاجتماعية والفلسفة النقدية التي نشأت في جامعة غوته بمدينة فرانكفورت بين عامي: 1981 – 1939م، وضمت مجموعة من المفكرين والفلاسفة الذين عارضوا السياسات الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في ذلك الحين، والتابعة للأنظمة الرأسمالية والفاشية والشيوعية، نقلاً عن: محمدي، حسين حاج (2019م). مدرسة برمنغهام، ماهيتها ورؤاها في بوتقة النقد والتحليل، ترجمة: أسعد مندي الكعبي، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، لبنان، ص 24.

[2]. مدرسة برمنغهام: مدرسة نقدية ثقافية تتبع جامعة برمنغهام وذلك من خلال مركز الدراسات الثقافية المعاصرة، محمدي. مدرسة برمنغهام، ص: 24.

[3]. ليتش: ناقد أمريكي أول من استخدم مصطلح النقد الثقافي في ثمانينات القرن الماضي، وهو أحد أعمدة النقد الأمريكي منذ ثلاثينيات القرن العشرين، نقلاً عن: الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد (2002). دليل الناقد الأدبي، ط3، الدار البيضاء: المركز الثقافيّ العربي، ص: 308، بتصرف.

[4]. دليلة، بوغديري(2020م). الأنساق الثقافيّة بين النظرية والتطبيق من منظور عبد الله الغذامي، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ص12.

[5]. تيودور أدورنو: مفكر ألماني وُلد في فرانكفورت بألمانيا عام 1903م، وتوفي عام 1969م، وهو أحد العلماء والنقاد والمفكرين الذين كانوا في مدرسة فرانكفورت، نقلاً عن: محمدي. مدرسة برمنغهام، ص: 25.

6. الرويلي والبازعي. دليل الناقد الأدبي، ص306.

[7]. يورغن هابرماس: أحد النقاد الألمان الذين ظهروا بعد منتصف القرن العشرين في ألمانيا، وهو عضو في عدد من الأكاديميات النقدية في ألمانيا وخارجها، عمل في عدد من الجامعات من بينها ماربورغ، وبون، وزيورخ، نقلاً عن: كريب، إيان(1999م). النظرية الاجتماعيّة من بارسونز إلى هابرماس، تر: محمد حسين غلوم، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع244، ص68.

8. الرويلي والبازعي، دليل الناقد الأدبي، ص306.

و أمّا ثالث هذه المحاولات والإرهاصات فقد كانت من الناقدة الإنجليزية ماري دوجلاس[1]، والناقد الفرنسي ميشيل فوكو[2]،إذْ كان لهذين الناقدين دوراً بارزاً في بناء الأسس الأولية للنقد الثقافيّ التي طالما اعتنت بالجانب الثقافيّ في بناء النصوص الأدبية[3].

ويمكن القول من خلال ما سبق أنّ هذه الإرهاصات الأولية لنشأة النّقد الثقافيّ كانت حاضرة قبل مدّة ليست باليسيرة قبل ظهور النّقد الثقافيّ بصورته المكتملة، وهو ما بدا من خلال هذه المنجزات النّقدية الابتدائية ممّا يعني أنَّ النّقد الثقافيّ لم يكن وليد لحظة ما، أو تحوّل مفاجئ في مسيرة النّقد إنّما هو انتقال طبيعي لبعض المنجزات الفكرية والثقافيّة التي كانت حاضرة لدى النقاد لتوجيه النقد نحو السياقية.

غير أنّ النشأة الحقيقية للنقد الثقافيّ بمعاييره وأسسه لم تظهر بصورة متكاملة إلا في نهايات القرن العشرين، وتحديداً في عام 1985م على يدّ الناقد الأمريكي "فنست ليتش"، إذ تعد هذه المرحلة الرابعة في نشأة النقد الثقافي بصورته المكتملة والتامّة، وقد وضع ليتش المصطلحات الحقيقية والدقيقة للنقد الثقافيّ، وكان ذلك تحديداً عام 1992م بعد تأليفه لكتاب: النّقد الثقافيّ: نظرية الأدب لما بعد البنيوية"، وهذا يعني أنّه أول من أطلق مصطلح النّقد الثقافيّ على نظرية ما بعد الحداثة، وكان القصد من هذا اللون الجديد من النّقد استكشاف والأنساق الثقافيّة واستكناهها وتحصيلها"[4].

وقد شهدت هذه المدة الزمنية استقرار المقولات النّقدية التي تخص ما بعد الحداثة، و"عرف النّقد الثقافيّ تحوّلاً كبيراً تبعاً لانهيار المنهج البنيويّ في النّقد؛ ولكنّ هذا التحوّل لم يكن تاماً منذ أوّليات ظهور ما بعد الحداثة، إنّما تبلور هذا النوع من النّقد منهجياً عند الناقد ليتش"[5].

هذا يعني أن النّقد الثقافيّ نشأ بفعل مجموعة من الإرهاصات ارتبطت بتطور تلك الأفكار المنوطة بمّا بعد الحداثة للوصول إلى الغاية النّقدية المرتبطة بسياقات الثقافة المتنوعة، وعند القول أنّ ليتش هو مؤسس النّقد الثقافيّ، وواضع منهجه، فهذا لا يعني أنّه لم يسبق إليه أحد ولاسيما في نواحي الإشارات الأولى لطبيعة مثل هذا النّقد، وقد أشار بعض النقاد للأسس النظرية لهذا النّقد من أمثال: باختين[6]

---

[1]. ماري دوجلاس: ناقدة إنجليزية من أبرز نقاد القرن العشرين، وقد وُلدت في سانريمو وتوفيت في لندن عام 2007م، وهي عضو في عدد من الأكاديميات النقدية في بريطانيا وأمريكا والسويد وأوروبا بشكل عام، وتخرجت في جامعة أُكسفورد بدكتوراه في الفلسفة عام 1951م، نقلاً عن: ويكيبيديا، بتاريخ: 2023/6/3م.

[2]. ميشيل فوكو: ناقد فرنسي وُلد في بواتييه عام 1926م، درس في مدرسة هنري الرابع بفرنسا ثم درس في المدرسة العليا للمعلمين، ثم في جامعة باريس، ويُعدُّ من أشهر النقاد الفرنسيين، وتوفي عام 1984م بباريس، نقلاً عن: الحجيلان، ناصر (2009م). الشخصيّة في قصص الأمثال العربيّة (دراسة في الأنساق الثقافيّة للشخصيّة لعربيّة)، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء، ص32.

[3]. التميمي والشجيري. سيرورة النّقد الثقافيّ عند الغرب، ص163، بتصرف.

4. حمداوي، جميل (2012).النّقد الثقافيّ بين المطرقة والسندان، مقالة على الشبكة العالمية للمعلومات، موقع ديوان العرب، صادر بتاريخ 7/8.

[5]. عبد الباسط، طلحة (2021). النّقد الثقافيّ النشأة والتطور، مجلة كفاية للغة والأدب، 1 (2)، ص37.

[6]. باختين: ناقد روسي وُلِد ونشأ في روسيا منذ قُبَيل منتصف القرن العشرين، وقد درس في جامعة سانت بطرسبرغ الروسية، وقد عُرِف بأنه فيلسوف وكاتب وناقد وأديب، نقلاً عن: التوتنجي، محمد (1993م). المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، الطبعة الأولى، ج1، ص: 73.

وتودوروف[1] وبارت[2] وجاك دريدا[3] وإدوارد سعيد[4] ومشال فوكو و بول دي مان[5]، وأشار هؤلاء النقاد وغيرهم لبعض الجوانب المتعلقة بالنّقد الثقافيّ، وهم بذلك قد سبقوا ليتش لهذه الفكرة[6]. وهذا يؤكد تنوع بدايات النقد الثقافية والتعاون الفكري لإحداثه.

غير أنّ هذه الإرهاصات التي ظهرت على أيدي هؤلاء النُّقّاد لا تُعدّ بداية حقيقيّة للنقد الثقافيّ، ولا يمكن النظر إليها على أنّها مرحلة مستقلّة بذاتها في تشكيل عناصر هذا النّوع من النّقد، بل هي مجرّد إرهاصات لا أكثر.

وإنّ هذه البداية للنقد الثقافيّ هدفت كما رأينا للانتقال بالفكر النّقدي من جانبه البنيوي إلى ربطه بالسياقات المتنوعة، ففي حين أغفلت الدراسات البنيوية واللسانية دور السياق في الوصول إلى تحليل حقيقي للخطاب اللغوي، أو تمثيل لما يقوله هذا الخطاب ضمن أطر النص المتنوعة، وجاء النّقد الثقافيّ للوقوف على هذه المكونات وإبراز تلك السياقات الوصول إلى ربط النص بالنَّسَق الثقافيّ الذي يحيط به، ويبين أثر تلك الأنساق في بناء ذلك النص.

وقد تمثلت منجزات هؤلاء النقاد بأن "هدف "باختين" هو خلخلة منلوجات الخطابات الدغمائية السائدة، في حين كان بارت يقصد إلى توظيف السيميائية لنقد ثقافة اليوم المعيش التي تهيمن عليه قيم الطبقية البرجوازية، وأمّا تودوروف فقد عمد إلى الكشف عن اللغات التي تقتضي الآخر، وركّز إدوارد سعيد على نقد الخطاب الاستشراقي والامبريالي، وإنجاز ما سماه النّقد المدني، وخصص أمبرتوإيكو بعض كتاباته لنقد التوجيهات العنصرية في أوروبا، وقد جاء كل ذلك في إطار ما يعرف بتوجهات ما بعد البنيوية، أو ما بعد الحداثة"[7].

---

[1]. تودوروف: ناقد فرنسي وُلد في صوفيا عام 1939م، ونشأ في فرنسا وتعلم فيها، وانتسب لعدد من الأكاديميات النقدية في أوروبا وأمريكا، نقلاً عن: محمدي. مدرسة برمنغهام، ص: 41.

[2]. رولان بارت: ناقد فرنسي عُرِف ببراعته، وهو خريج جامعة باريس، وكانت أكثر منجزاته بعد منتصف القرن العشرين، توفي بحادث دهس عام 1980م بباريس، نقلاً عن: صالح، بشرى موسى(2012م). بويطيقيا الثقافة نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص26.

[3]. جاك دريدا: ناقد فرنسي ظهر في منتصف القرن العشرين، ويعد من أبرز النقاد الفرنسيين، درس في عدد من الجامعات منها المدرسة العليا للمعلمين، وجامعة باريس وجامعة هارفرد، وتوفي عام 2004م بباريس عن عمر بلغ أربع وسبعين سنة، نقلاً عن: صالح. بويطيقيا الثقافة، ص: 26.

[4]. إدوارد سعيد: ناقد فلسطيني وُلد في القدس عام 1935م غير أنه هاجر إلى أمريكا وحصل على الجنسية الأمريكية، وكان عضواً في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، والأكاديمية الأمريكية للفنون والآداب، ومجمع اللغة العربية بدمشق، نقلاً عن: سعيد، إدوارد (1984م). الاستشراق، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت/ لبنان، الطبعة الثانية، ص: 3.

[5]. بول دي مان: ناقد أمريكي وُلِد في بلجيكا ثم انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية، درس في جامعة هارفرد، وهو فيلسوف وأديب وناقد، عضو في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، توفي عام 1983م، نقلاً عن: ويكيبيديا، بتاريخ: 2023/6/4م.

[6]. حفناوي، بعلي (2007) مدخل في النّقد الثقافيّ المقارن، ط1، الجزائر: منشورات الاختلاف، ص14.

7. الشمري، محمد لافي(2009). مجهود الغذامي في النّقد الثقافيّ بين التنظير والتطبيق، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ص19.

وانطلاقاً من هذه الفكرة تتبين الصلة بين النّقد الثقافيّ من جهة، والمنجزات النّقدية التي سبقته من جهة ثانية، فالنّقد الثقافيّ يجمع الاتجاهات النّقدية التي سبقت ظهوره بصورة علنية، بدءاً من الاتجاه الشكلاني[1]، وبعده الانتقال إلى النّقد الجديد[2] وما اتصل به من المادية الماركسية[3]، ومن ثم الدراسات التفكيكية والثقافيّة، إلا أن هذا الجمع لم يكن ممنهجاً ولا تاماً؛ بل كان بصورة مبعثرة وعامة، لا تحكمه قواعد دقيقة إلى أنْ جاء ليتش وأسس تلك القواعد لهذا المنهج النّقدي.

وكانت الإفادة من هذه الحركات النّقدية متمثلة في طبيعة النظر للنص الأدبي، وطبيعة ربطه بالسياقات المتنوعة المحيطة به، وتوضيح أثر تلك السياقات في بناء الفكرة النّقدية، وهو ما ظهر في تشكيل فكرة هذا النّقد من خلال أفكار التفكيكية والحركة النسوية والجنوسية، وكلها مناهج ربطت النّقد بالسياق المحيط به.

ولقد ثار النّقد الثقافيّ على ما سبقه من المناهج البنيوية واللسانية والجمالية التي طالما نظرت للنقد على أنّه أداة للكشف عن مكنونات العمل الأدبي وقيمته الجمالية والفنية، أيّ أنّ النّقد الثقافيّ جاء ردّة فعل على المناهج النّقدية التي سبقته ولاسيما المنهج البنيويّ الذي اهتمّ بالنصوص وأغفل السياقات الثقافيّة التي تشكلها[4].

"هذا النّقد الجديد الذي جاء به (ليتش) ليس من قبيل الصدفة بل هو نتاج التغيرات في الساحة الأدبية التي اعتبرت الدراسات السابقة ينقصها شيء ولاسيما بعد أزمة البنيوية وما نتج عنها من ظهور مناهج ما بعد البنيوية، مروراً بالتفكيكية وما دعت إليه الدراسات الثقافيّة التي تعد أوروبا مهداً لها"[5].

وعند تأمّل هذه النشأة المنهجية للنقد الثقافيّ نجد أنه منح الدرس النّقدي مجموعة جديدة من المفاهيم والأدوات النّقدية التي ربما كانت مغيّبة عن الذائقة النّقدية من قبل، كما لفت انتباه النقاد إلى السياقات الثقافية المتنوعة، وصولاً إلى النَّسَق الثقافيّ ذي الارتباط الوثيق بمكونات المجتمع المحيطة بنشأة النصوص الأدبية.

و"بذلك يكون النّقد الثقافيّ كممارسة ظهر قبل ليتش غير أن المنهج ظهر معه من خلال كتابه: " النّقد الأدبي الأمريكي، بعد أن كانت الدراسات الثقافيّة هي الشائعة في الاستعمال، وأما كلفظة ومصطلح فقد ظهر قبل ليتش بزمن مع تيودور أدورنو1949م حين أشار إليه في مقالة عنوانها" النّقد الثقافيّ والمجتمع في المقالة هجوم على ذلك اللون من النشاط الذي يربطه الكاتب بالثقافة الأوروبية عند نهاية القرن التاسع عشر"[6].

---

[1]. الشكلانية: اتجاه نقدي ينظر إلى العمل الأدبي من جهة شكلية فحسب، ولا ينظر في طبيعة دلالاته الداخلية، نقلاً عن: عمر، أحمد مختار (2008م). معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، القاهرة: مصر، الطبعة الأولى، ج2، ص1229.

[2]. النقد الجديد: يتمثل بالبنيوية وما بعدها، نقلاً عن: هايمن، ستانلي إدغار (1960م). النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت: لبنان، الطبعة الأولى، ج1، ص11، [بتصرف].

[3]. الماركسية: نسبة إلى كارل ماركس، وهي حركة نقدية تربط المجتمعات بالتوزيع المادي، وبالتالي تأثير ذلك في الأدب، عمر. معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3، ص2061 [بتصرف].

[4]. التميمي والشجيري. سيرورة النّقد الثقافيّ عند الغرب، ص163، [بتصرف].

5. دليلة. الأنساق الثقافيّة بين النظرية والتطبيق من منظور عبد الله الغذامي، ص12.

[6]. الرويلي والبازعي. دليل الناقد الأدبي، ص306.

وتنقلنا الأنساق الثقافيّة من النّقد الثقافيّ إلى الواقع الثقافيّ الذي يعيشه شعب من الشعوب، أو فئة من البشر، وتمثل تلك الأنساق نمطاً ثقافيّاً يحيط بهم، يفضي إلى اختلاف تلك الأنساق وتباينها باختلاف الواقع المعيش، وباختلاف الأزمان، فما يصلح أن يكون نسقاً ثقافيّاً في زمن محدد، أو عند أمة من البشر كالعرب مثلاً، ربما لا يصلح أن يكون نسقاً ثقافيّاً عند غيرها من الأمم، أو في زمن آخر من الأزمان، وتعد فكرة النّقد الثقافيّ بأنساقه المتنوعة فكرة حديثة، عكست ما يتميز به شعب من الشعوب، أو فئة من البشر بامتيازات ثقافيّة نسقية تظهر في أشعارهم، وتتصل بثقافاتهم المتنوعة[1].

:

جدول 1. مختصر نشأة النقد الثقافيّ عند الغرب

مراحل تطور النقد الثقافي عند الغرب	وصف طرائق تطور النقد الثقافي عند الغرب
الأولى:	كانت في عام 1949م، وذلك في مقال للمفكر الألماني تيودور أدورنو.
الثانية:	كانت ضمن كتاب يورغن هابرماس تحدث فيه عن المحافظين الجدد والنقد الثقافيّ.
الثالثة:	كانت من الناقدة الإنجليزية ماري دوجلاس والناقد الفرنسيّ ميشيل فوكو، وذلك من خلال بناء الأسس الأوليّة للنقد الثقافيّ عموماً.
الرابعة:	كانت عام 1984م في إعقاب كلّ هذه الإرهاصات على يد النّاقد الأمريكيّ ليتش، وبعد ذلك تمّت أسس هذا النّقد بصورة متكاملة.

النّقد الثقافيّ عند العرب:

إنَّ الانتقال للحديث عن النّقد الثقافيّ عند العرب يظهر أنّه نقد وافد على الذائقة العربيّة مرتبط بمنجزات الغرب التي وردت إلينا، وهذا لم يمنع بعض النقاد من الوقوف عند هذا اللون الجديد من النّقد، ضمن دراساتنا العربيّة المتخصصة.

وأول هذه المراحل التي نشأ من خلالها النّقد الثقافيّ عند العرب تمثّل بمجموعة من الإرهاصات، إذ نجد الحال عند العرب كما هو بالنسبة للغرب، فهناك مجموعة من الإرهاصات المبكرة التي أشارت لدور الثقافة في النّقد، وذلك ابتداءً من طه حسين في كتابه: مستقبل الثقافة في مصر عام 1938م، إذْ حمل هذا الكتاب مجموعة من الإشارات لدور الثقافة بمضامينها المتنوعة في سياق المجتمع عموماً والأدب تحديداً"[2].

ويتحدث كتاب طه حسين عن أشكال الثقافة ومضامينها، وكيفية تأثيرها في المجتمع، إذ يربط الثقافة في جانبها الأساسي بالمجتمع تحديداً، ثم ينتقل من خلال هذا الربط إلى الحديث عن دور الثقافة في الأدب، بمعنى أنه لا يربط الثقافة بالأدب بصورة مباشرة، وإنما ينتقل إليها من خلال المجتمع، وقد قصر طه حسين حديثه عن أثر هذه الثقافة في كيان المجتمع ولاسيما المجتمع المصري، وجعل من هذه

---

[1]. الحربي، عبد الله مطلق(2013). الأنساق الثقافيّة في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (213 – 276هـ، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ص1 2، [بتصرف].

2. مناصرة. عزالدين (2014). الهويات والتعددية اللغوية، قراءات في ضوء النّقد الثقافيّ المقارن، ط1، عمان: الصايل للنشر والإشهار، ص7، [بتصرف].

الفكرة نظرة مستقبلية لما هو آتٍ بالنسبة للمجتمع المصري وما يشتمل عليه من ثقافات، ولا شك أن الحديث عن الثقافة في هذا الإطار وسيلة لفهم طبيعة تأثيرها في المجتمع عموماً، ومن ثم انتقال هذا التأثير إلى الأدب، وهي بداية مبكرة للحديث عن مظاهر الثقافة بسياقاتها المتنوعة وأثرها في بناء الأعمال الأدبية، وهو ما يمكن أنْ نقول بأنه بداية موفقة نحو النقد الثقافي، أو بداية لربط الثقافة بالمنجزات الأدبية.

وأما ثاني هذه المحاولات والإرهاصات فنجدها عند (عبد العظيم أنيس ومحمود أمين العالم) في الكتاب المشترك بينهما وهو كتاب في الثقافة المصرية، وذلك عام 1956م، إذ حمل هذا الكتاب بعض الإشارات لدور الثقافة في المجتمع، وتحديداً المجتمع المصري[1].

ولا يبتعد هذا الكتاب عمّا كتبه طه حسين في عمله السابق، فما تزال النظرة مرتبطة بالمجتمع لا بالأدب، ولا يزال الحديث عن المجتمع المصري دون سواه من المجتمعات، فقد ركز الكاتبان في هذا الكتاب على الحديث عن المظاهر الثقافية، ودورها في بناء المجتمع، وتجهيز كيانه الثقافي المنتظم، ومن ثم الحديث عن دور هذه الثقافة في مستقبل هذا المجتمع، وهو دون شك ربط وثيق للثقافة بعناصر التركيبة الاجتماعية في المجتمع المصري، الأمر الذي يترتب عليه ربط ذلك كله بالأدب ومنجزاته، والنظر في أثر تلك الثقافة في الإنجاز الأدبي والفني، وهو ما يلتقي مع بعض عناصر النقد الثقافي ومكوناته، انطلاقاً من طبيعة العلاقة الوثيقة بين الأدب من جهة، والمجتمع من جهة أخرى، بمعنى أنَّ هذا العمل وما سبقه عند طه حسين ركزا على كيفية الولوج من الثقافة إلى الأدب من خلال المجتمع الذي يشكل حلقة الوصل الدقيقة بين هذين الطرفين.

وكانت المحاولة الثالثة من خلال مجموعة متتالية من الكتابات والمنجزات، إذ لم تقف حدود هذه الإرهاصات عند هذين الكتابين؛ بل هناك بعض المنجزات الفكرية والثقافيّة التي أنشأها النقاد العرب وهي ذات اتصال بالمنهج الثقافيّ في الأدب، ومن ذلك كتاب (مالك بن نبي الجزائري) بعنوان: "مشكلة الثقافة"، وذلك في عام 1959م، إذ يعد هذا الكتاب المصنف الثالث الذي حمل بعض الإرهاصات النّقدية تجاه المنهج الثقافيّ في النّقد"[2]، وقد عرض الكاتب أهم المشكلات التي تواجه الثقافة في المجتمع العربي تحديداً، وما يترتب على هذه المشكلات من نتائج سلبية في المجتمعات، ويظهر أننا أمام ربط الثقافة بالمجتمع، وربط مكونات هذا المجتمع بعناصر الثقافة، وما ينشأ عنها من علاقات وثيقة بين عناصر هذا المجتمع، والمنجزات الأدبية تالياً، إذ يحاول الكاتب في هذا المصنّف أنْ يلفت انتباه المتلقي إلى النتيجة المترتبة على المشكلات الثقافية في المجتمع، ومن ثم وصول أثر تلك المشكلات إلى الأدب، وهي فكرة بعيدة نوعاً ما عن فكرة النقد الثقافي المستقرّة إلا أنّها شكّلت نمطاً من التحوّل والانتقال نحو ربط الثقافة بالأدب.

ولا ينكر أحد دور الناقد (إدوارد سعيد) في إيجاد بعض خيوط المنهج الثقافيّ والإشارة إليه من كتبه ومصنفاته، ومن ذلك كتاب الاستشراق" عام 1978م، وكتاب العالم والنص والناقد، وذلك في عام 1983م، وكتاب الثقافة والإمبريالية الذي صدر في عام 1993م، وجميعها مصنفات حملت بعض الإرهاصات النّقدية تجاه النّقد الثقافيّ باعتباره منهجاً جديداً في نظرة النقاد للأنساق العربيّة، ومن جهة

1. المرجع نفسه، ص7، [بتصرف].

2. المرجع نفسه، ص7–8(يجب كتابة المرجع هنا لأنه السابق شرطه أنْ يكون موجوداً في ذات الصفحة)

أخرى فهناك الناقد (مصطفى الأشرف) في كتابه: الجزائر أمة ومجتمع، وذلك في عام 1983م، إذ حمل هذا الكتاب كذلك بعض الإرهاصات النّقدية في ذلك الحين[1].

لقد مثّل هذان الناقدان في منجزاتهما النقدية صورة أخرى للفكر الثقافي الذي يرتبط بالأدب، مع التأكيد هاهنا على أنّ هذه المنجزات لم تكن سوى إرهاصات أولية لنشأة النقد الثقافي، ولم تكن ذات طابع علميّ دقيق كما نجده عند الغذامي في تحديده لعناصر النقد الثقافي بعد أن استقرّت على يدي الناقد الأمريكيّ ليتش، إلا أنّنا لا نُغفل قيمتها الإرهاصية التي ارتبطت بتلك المدة الزمنية السابقة لظهور المنهج الثقافي في النقد، اعتماداً على بحثها لعدد من المظاهر الثقافيّة التي ارتبطت بالمجتمعات العربية، واتصلت بطبيعة الثقافة العربية، والإشارة بصورة ما إلى ارتباط تلك الثقافات بالأدب، والتأثير فيه بشكل أو بآخر، وهو ما مهّد لظهور المنهج النقديّ الثقافيّ عند العرب.

ومن النقاد كذلك الذين لهم الريادة في النظرة الثقافيّة في النّقد الناقد العراقي علي الوردي في كتابه: أسطورة الأدب الرفيع، وذلك في عام 1994م، إذ يعد هذا الناقد من رواد النّقد الثقافيّ العربي، فقد استطاع أنْ يحدد القيم القبلية الشعرية[2]، ولكن لقد جاء هذا الكتاب في أعقاب نشأة النقد الثقافيّ عند الغرب، وقُبَيل انتقاله للعرب ممّا يعني أنّ هذا الكتاب كان قريباً في ذائقته الفنية من طبيعة النقد الثقافيّ، وجعل الكاتب من الأدب الرفيع أسطورة، إذْ جعل الأدب الرفيع مرتبطاً بالمجتمع، ومتعلقاً بتلبية حاجات هذا المجتمع، وأنْ يكون هذا الأدب الرفيع ناطقاً بلسان ذلك المجتمع، وهو من وجهة نظري ربط للأدب بالثقافة المجتمعية بشكل أو بآخر، وإظهار لعلاقة الأدب بمكونات المجتمع وعناصره الأدبية.

وإنّ هذه الإرهاصات الأولية لنشأة النّقد الثقافيّ عند العرب توحي بالأمر ذاته الذي كان عند الغرب، فإنّ النّقد الثقافيّ لم يولد بمحض الصدفة، بل كانت هناك مجموعة من الأصوات التي تنادي بظهور هذا النّقد، أو ظهور منهج نقدي يأخذ على عاتقه كلّ هذه المكونات النّقدية والثقافيّة للوصول إلى منهج متكامل يخرج من ثوب البنيوية واللسانيات الحديثة، وهو ما استطاع نقله (عبد الله الغذامي) للدرس النّقدي العربي.

وأمّا المرحلة الرابعة فهي مرحلة الغذاميّ نفسه، إذ نقل أفكار ليتش إلى العربيّة، واستطاع أن يضع أسساً وثيقة لنشأة النّقد الثقافيّ عند العرب، غير أنّه أُخِذ على الغذامي أنه قصر الحديث عن الأنساق الثقافيّة في جنس أدبي واحد هو الشعر، وفي الواقع فإن جميع الأجناس الأدبية يصلح أن يُطبق عليها فكر النَّسَق الثقافيّ، وتصلح أنْ تكون ميداناً للنقد الثقافيّة، كما يصلح أن يطبق النّقد الثقافيّ على المجتمعات المختلفة والمتنوعة، ولا يقتصر حضوره على مجتمع بعينه، أو فئة مخصصة دون سواها من الفئات المجتمعية الأخرى، إذ هو وسيلة ثقافيّة تكشف عن الحضارات المتنوعة والمختلفة[3].

ويمكن القول إنّ هناك مجموعة من القضايا الرئيسة التي ركّز عليها عبد الله الغذامي في حديثه عن النّقد الثقافيّة وربطه بالثقافة العربيّة؛ لذا عُدّت تلك الأسس نوعاً من التجديد النّقدي الذي جاء به هذا النوع من النّقد ضمن الثقافة العربيّة.

---

1. المرجع نفسه، ص9–10 (يجب كتابة المرجع هنا لأنه السابق شرطه أنْ يكون موجوداً في ذات الصفحة)

2. قاصد، حسين (2013). النّقد الثقافيّ ريادة وتنظير، العراق رائداً، ط1، القاهرة: التجليات للنشر والترجمة والتوزيع، ص11، الغذامي، عبدالله، النّقد الثقافيّ، ص101.

3. الحربي: الأنساق الثقافيّة في كتاب عيون الأخبار، ص: 19 – 20، [بتصرف].

جدول 2. باختصار مراحل نشأة النّقد الثقافيّ عند العرب

مراحل تطور النقد الثقافي عند العرب	وصف طرائق تطور النقد الثقافي عند العرب
الأولى	كانت عام 1938م ضمن كتاب (مستقبل الثقافة في مصر) لطه حسين
الثانية	كانت عام 1956م عند عبد العظيم أنيس ومحمود أمين العالم، وذلك في الكتاب المشترك بينهما وهو كتاب في الثقافة المصرية.
الثالثة	كانت ضمن كتابات فكرية متعددة لنُقّاد متعددين منذ عام 1959 – 2000م، من أمثلة: مالك بن نبي، وإدوارد سعيد، ومصطفى الأشرف، وعلي الوردي، وغيرهم.
الرابعة	وهي مرحلة النضوج على يد الناقد الغذاميّ

وبناء على ما تقدم يمكن أن نفسر تطور النقد الثقافي الذي نشأ فيه النّقد الثقافيّ العربي انطلاقاً من كونه وافداً من المنجزات الغربية للنقد إلا أنَّ نقادنا العرب منحوا النّقد الثقافيّ سمته العربيّة، وربطوا الأنساق الثقافيّة المتنوعة بالإطار العربي والمجتمع العربي بكل مكوناته، إذْ يمكن أن يقال إنّ هذه إضافة جيدة من النقاد العرب للنقد الثقافيّ زيدت على ما جاء به الغربيون من قبل، كما أنّ الدوافع التي دفعت بالغرب للوصول إلى هذا المنهج النّقدي هي ذاتها التي دفعت بالعرب للوصول إلى مبتغاهم التي تتمثل بما بعد الحداثة، وكان للناقد عبد الله الغذامي الريادة في نشأة هذا المنهج النّقدي الجديد.

ويتميز النّقد الثقافيّ عند العرب بأنّه نقد جديد زيادة على ما كان عليه عند الغرب، ويتميز باتسامه بالسمات الفكرية العربيّة المرتبطة بثقافة العرب، وهو ما يمنحه خصيصته التي يتميّز بها عن سائر أشكال النّقد الثقافيّ لدى الأمم الأخرى.

مفهوم النّقد الثقافيّ والأنساق الثقافيّة:

يسير النّقد الثقافيّ في نظرته للنصوص من خلال مسارين اثنين أولهما: فكرته الأساسية التي ترتبط بسياق الثقافة في مجتمع ما، وما يرتبط به من عناصر اجتماعية وسياسية وفكرية وغيرها، وأثر ذلك كله في النصوص الأدبية بداية، وما تتركه في المنجزات النّقدية تالياً، ولا بد من تحديد المقصود بالنّقد الثقافيّ أولاً، ومن ثم تحديد المقصود بالنَّسَق الثقافيّ.

النّقد الثقافيّ:

إن النّقد الثقافيّ منهج نقدي ناشئ، فهو أقرب المناهج النّقدية إلينا في هذا العصر، إذ يعرّف على "أنّه أحدث حقل نقدي، وأنه ينفتح على معظم المجالات والتخصصات التي تسمح بمعيتها بالرصد والكشف عن النَّسَق كبنية لغوية معلنة، وعن المضمر كبنية دلالية متسترة، وكذا على السياق بمختلف أنواعه هادفاً غلى فهم النص الأدبي أولا، أو الكشف عن دلالاته المضمرة ثانيا وتختلف السياقات والأنساق باختلاف النصوص الأدبية ومبدعيها"[1].

ولقد طرح ليتش هذا المصطلح النّقدي الجديد النّقد الثقافيّ في مصنفه الذي أشرنا إليه من قبل، جاعلاً هذا المصطلح رديفاً لمصطلح ما بعد الحداثة أو ما بعد البنيوية، إذ ركزت البنيوية وما شابهها من

[1]. الزهراء، خلوفي ومحمد قريبيز(2022). السياقات الثقافيّة العربيّة والأنساق المضمرة رواية مالم تحكمه شهرزاد القبيلة نموذجاً، مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربيّة في العلوم الإنسانية والاجتماعية 14 (2)، ص399

المناهج النّقدية التي تبنت تحليل الخطاب الأدبي على العناصر المكونة للنص ذاته، ولم تنظر لما سواها من المعطيات الأخرى كالجوانب التاريخية، أو الأعراف الاجتماعية، أو النواحي السياسية، أو السيسيولوجية المتنوعة، إذ جاء النّقد الثقافيّ من وجهة نظر ليتش ليبحث الجوانب دون أن يتخلى عن الجوانب التحليلية الأخرى المرتبطة بمكونات النص عموماً[1].

ويحدد ليتش ثلاثة خصائص يقوم عليها النّقد الثقافيّ وفق الآتي[2]:

"1- لا يؤطر النّقد الثقافيّ فعله تحت إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل ينفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة وإلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة، وإلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة.

2- من سنن هذا النّقد أنْ يستفيد من مناهج التحليل العرفية من مثل: تأويل النصوص ودراسة الخلفية إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافيّ النّقدي والتحليل المؤسساتي.

3- إنّ الذي يميز النّقد الثقافيّ الما بعد بنيوي هو تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوصي".

وبذلك لم يفصل ليتش النّقد الثقافيّ عن المنجزات النّقديّة الأخرى فصلاً تامّاً، وإنّما جعل هذا النّمط الجديد من أنماط النّقد معتمدة على ما سبقها من المنجزات النّقديّة الأخرى، فهو لا يُبعد النصوص عن جانبه التطبيقيّ، كما لا يُبعد المعرفة الخلفيّة، وهكذا.

ويعرف الناقد (آرثر آيزبرجر) النّقد الثقافيّ بأنّه: " نشاط وليس مجالاً معرفياً خاصاً بذاته، بمعنى أنَّ نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات على الفنون الراقية والثقافيّة الشعبية، والحياة اليومية وعلى حشد الموضوعات المرتبطة فإن النّقد الثقافيّ هو مهمة متداخلة مترابطة، متجاورة متعددة كما أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات متنوعة ويستخدمون أفكاراً ومفاهيم، وبمقدور النّقد الثقافيّ أنْ يشمل نظرية الأدب والجمال والنّقد والتفسير الفلسفي وتحليل الوسائط والنّقد الثقافيّ الشعبي وبمقدوره أن يفسر (نظريات ومجالات علم العلامات ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية والنظرية الاجتماعية والأنتروبولوجية"[3].

ويمثل كلام (آرثر آيزبرجر) السابق تأكيداً لما أتى به الناقد ليتش من قبل، على أنّ التركيز على كون النقد الثقافي نشاط، وهي الركيزة الأولى التي بُني عليها هذا اللون الجديد من النقد عند هذا الناقد.

ويظهر أنَّ النّقد الثقافيّ في أساسه منهج عام للتعامل مع النصوص وربطها بمكوناتها النَّسَقية، وليس مجرد افتراض مصطلح فحسب، بمعنى أنَّ النّقد الثقافيّ بحدّ ذاته منهج نقدي متكامل يجعل من الأنساق الثقافيّة المتنوعة بأنواعها المتعددة وسيلة للوصول إلى مبتغاه النّقدي، وهو ما يُركّز عليه هذا المنهج النّقدي عموماً.

ولو نظرنا إلى تعريف النّقد الثقافيّ عند عبد الله الغذامي نجد أنه يستمد هذا التعريف من تعريف ليتش السابق، بمعنى أنه يقول بمقولاته النّقدية، ويسير وفقاً لخطواته المنهجية، فهو رديف لما بعد الحداثة، فهو "إفراز لما بعد الحداثة، التي غيّرت كل المعارف، وإفراز للتطور الذي شهدته النظرية النّقدية"[4].

---

1. الغذامي. النّقد الثقافيّ قراءة في الأنساق الثقافيّة العربيّة، ص30-31

2. المرجع نفسه. (إضافة رقم الصفحة هنا)

3. عبد الباسط. النّقد الثقافيّ النشأة والتطور، ص34.

4. المرجع نفسه، ص35. (يجب كتابة المرجع هنا لأنه السابق شرطه أنْ يكون موجوداً في ذات الصفحة)

ويبين البازعي والرويلي أن مفهوم مصطلح النّقد الثقافيّ يمكن استنتاجه من خلال المصطلح ذاته، ومصطلح "النّقد الثقافيّ" بحدّ ذاته قادر على أنْ يمنحنا المقصود بهذا المصطلح، وبناء على ذلك فإنّه: "نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعاً لبحثه وتفكيره ويعبر عن مواقف إزاء تطورها وسماتها وبهذا المعنى يمكن القول إن النّقد الثقافيّ نقد عرفته ثقافات كثيرة ومنها الثقافة العربيّة قديماً وحديثاً"[1].

فكلام البازعي والرويلي السابق إشارة إلى النقطة الأساسية التي انطلق منها النقد الثقافيّ التي تتشكل بقدر ما يكون الناقد مثقّفاً بقدر ما يتمكّن من الوصول إلى نقد ثقافيّ مميّز.

وهذه العبارة ليست إلى حدّ كبير من الدقّة في تحديد مفهوم النقد الثقافيّ بشكله المعاصر، وإنّما هي نوع من الرّبط بين ما يقوله نقادنا المعاصرون من جهة، وما اشتمل عليه تراثنا النّقديّ العربيّ من جهة ثانية، أيّ إنّ هذه العبارة فكرة ابتدائيّة يمكن الولوج من خلالها إلى فهم المقصود بالنّقد الثقافيّ كما هو معهود اليوم.

ومصطلح النّقد الثقافيّ يحمل دلالة عمومية على ميدان نقدي جديد يأخذ في اعتباره شيئين اثنين، الأول: ردّ الاعتبار للسياق وبيان دوره في تشكيل النصوص، وذلك بعد أن أغفلت الدراسات البنيوية دور هذا السياق، وكذلك فعلت بعض الدراسات اللسانية، وجاء هذا النّقد ليعيد الحديث عن دور السياق في بناء النص، والثاني: مواكبة المعارف الثقافيّة الجديدة التي ظهرت في العالم، يُضاف إليها المعارف التقليدية القديمة، الأمر الذي يعني حضور هذا النّقد ضمن مسارات الحياة الاجتماعية والسياسية وغيرها، وهو ما لم تكن تأخذه الدراسات الحداثية قبل ظهور النّقد الثقافيّ فهو مظهر من مظاهر ما بعد الحداثة كما وصفه ليتش[2].

ومن خلال التعريفات السابقة للنقد الثقافيّ يمكن لنا الوصول إلى القول أنّ مصطلح النّقد الثقافيّ: هو ذلك المنهج النّقدي الذي يتخذ من الثقافة وسيلة للوصول إلى نقد النصوص والخطابات الأدبية المتنوعة دون انتزاعها من كيانها النصي مع التركيز على السياقات المحيطة بذلك النص، سواء أكانت سياقات اجتماعية، أم سياسية، أم نفسية، أم غير ذلك، فهو يبحث في السياق الثقافيّ المحيط بنشأة النص وإبداعه، وبالتالي الوصول إلى تشكيل تصوّر عام عن ذلك الخطاب وذلك النص.

وعند القول أن "النّقد الثقافيّ" منهج نقدي فهذا يعني أنّه فعلاً منهج نقدي؛ لكونه يحقق شروط المنهج القائم على مجموعة من الأسس التي يُعتمد عليها في النظرة للنصوص المختلفة، ويفتح آفاقً للنظرة النّقدية تتسم هذه الآفاق بفاعليتها، وهي آفاق خصبة ومتماسكة، كما أن النّقد الثقافيّ له أدواته الخاصة به، كما يمتلك عناصر تحليلية متنوعة، وكان من أهم أدواته الأنساق الثقافيّة المتنوعة التي تمثل ركيزة أساسية في بنائه، وهذه الأنساق هي القادرة على اكتشاف المضمر في النصوص الأدبية، وبالتالي فهو ليس وليد الصدفة، أو الفراغ، إنّما اعتمد على مجموعة من المرجعيات والأفكار التي مهّدت لظهوره في الميدان النّقدي العالمي[3].

وأما السياق الثقافيّ فهو:" شبكة الأعراف الاجتماعية والاقتصادية كلها وجميع المؤسسات والأُطر والصّلات المعتادة التي تشكل الثقافة العامة ولاسيما ما تُخلفه من أثر في سياقات نُطق محددة وما تؤثر

---

1. الرويلي والبازعي. دليل الناقد الأدبي، ص36.

2. عبد الباسط. النّقد الثقافيّ النشأة والتطور، ص37، [بتصرف].

3. الشرقات، عبد الله عابد. النّقد الثقافيّ: المصطلح، المفهوم، المرجعيات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز القومي للبحوث غزة، 5 (2)، ص24، بتصرف.

في بنية الإنشاء الحادث ضمنها، ومعنى هذا أن لكل إنشاء (سياق ثقافة) مُحددة يمكن، بل يجب دراسته بوصفه مؤثراً في البنية اللغوية للنصوص الأدبية ينتميان إلى ثقافتين مختلفتين يمكن أن تُوضح معنى (سياق الثقافة) الذي ينبغي لنا أن نُفسر النص إزاءه"[1].

وبامتزاج كل هذه العناصر يتشكل لدينا النّقد الثقافيّ، وتظهر حقيقته النّقدية الرابطة بين ما هو داخل في إطار الخطاب من جهة، وما هو خارج عن إطار هذا الخطاب، إلا أنّه ضمن سياق اجتماعي قريب من هذا الخطاب، ومؤثر في تركيبته وتشكيله.

وأخيراً لابد من التأكيد على أنّ مصطلح النقد الثقافي مرتبط بإبراز أثر الثقافة و الأنساق الخارجية، وما يناظرها في الأنساق الداخليّة في الوصول إلى تشكيل موقف عامّ تجاه الخطاب الأدبيّ مستمدّ من عناصر الثقافة التي تناولها هذا الناقد أو ذاك.

النَّسَق الثقافيّ:

عند الانتقال لمصطلح النَّسَق الثقافيّ نجد أنه مصطلح مكوّن من شقين أولهما: النَّسَق، والثاني: ثقافيّ، والعلاقة بينهما علاقة تضايف، ولا يُقصد بالنَّسَق ضمن إطار النّقد الثقافيّ ما يُقصد به في الإطار البنيوي، ففي حين كان مفهوم النَّسَق في إطاره البنيوي يدور حول معنى تركيب النص واللغة التي يأتي بها، ونجد أنّ المقصود بالنَّسَق في إطاره الثقافيّ الجانب الدلالي المرتبط بالمضمون الثقافيّ وما يحتمله النص من هذه المدلولات"[2].

ويعدّ النَّسَق الثقافيّ حجر الأساس في النّقد الثقافيّ؛ لأنه "الأداة التحليلية التي يعتمد عليها الناقد في تحليل الخطاب تحليلاً ثقافيّاً، ولقد انتقل مفهوم النَّسَق من فكرته اللسانية إلى فكرته الثقافيّة مختاراً في ذلك الأمكنة المشبعة بالثقافة، سواء أكانت اجتماعية أو سياسية أو دينية أو إيدلوجية، ومن ثم يقوم النَّسَق بالتمركز في هذه البيئات الثقافيّة المميزة"[3].

"ويذهب الأنثروبولوجي الأمريكي (كليفورد غيرتز) إلى وصف النَّسَق بأنه:" نتاج حقلين أساسيين هما الأنثروبولوجيا، والنّقد الحديث من خلال التداخل بينهما"[4].وهذا يعني أن هذين الحقلين يسهمان بصورة مباشرة وواضحة في تشكيل هذا النقد، وليس النقد الحديث وحده قدراً على الوصول إلى تحقيق مغزى النقد الثقافي، ولا الإنثروبولوجيا وحدها قادرة على تحقيق الغاية المنوطة بالنقد الثقافي، بل كل منهما يأخذ بطرف من هذه الغاية.

" وهو ما تحمله الكلمة من معاني النظام والاتساق وهو مالا يختلف عن المفهوم الاصطلاحي للنسق في الدراسات الثقافيّة، ففي الدراسات الثقافيّة يظهر النسق بوصفه:" عنصراً مركزياً في الحضارة المعرفية والثقافة والسياسة والمجتمع؛ إذ يتسم النَّسَق من حيث هو نظام بالمخاتلة، واستثمار الجمالي والمجازي ليمرّر جدلّياته ومضمراته التي لا تنكشف إلا بالقراءة الفاحصة، ولا يمكن استثمارها إلا

---

[1]. الزهراء، ومحمد. السياقات الثقافيّة العربيّة والأنساق المضمرة، ص401.

[2]. الشجري، سحر كاظم (2017). جدلية الأنساق الثقافيّة المضمرة في النّقد الثقافيّ، ط1، دمشق: دار الحوار، ص75.

[3]. الزهراء ومحمد. السياقات الثقافيّة العربيّة والأنساق المضمرة رواية مالم تحكمه شهرزاد القبيلة –نموذجاً– ص402.

[4]. دليلة. الأنساق الثقافيّة بين النظرية والتطبيق من منظور عبدالله الغذامي، ص20.

بجهاز مفاهيمي ومعرفي متكامل؛ لهذا تحتاج القراءة الفاحصة منهجية واضحة لقراءة النصوص وكشف ما تُضمره من إشارات"[1].

ويبين الغذامي أنَّ الأصل في مصطلح (النسق) مأخوذ من الشيء الذي يسير وفق نمط واحد، وهذا هو المعنى اللغوي الأصيل لكلمة النَّسَق، وربما اتخذ النَّسَق من معنى البنية معنى له اعتماداً على ما أشار له البنيويون في طبيعة تحديدهم لمثل هذا المصطلح، ويظهر الغذامي أنَّ مفهوم النَّسَق ينطلق من الوظيفة التي يضطلع بها، وليس مجرد سياق أو نمط متماثل من الأنماط اللغوية، وبالتالي فوظيفة النَّسَق تحدد معناه ودلالته، واعتماداً على ذلك فإنّ الأنساق تُقرأ قراءة ثقافيّة، والنص حادثة ثقافيّة وليس حادثة أدبية اعتماداً على القيمة العميقة لهذا النص التي تعتمدها المنجزات الثقافيّة الجمعية لا الفردية، والنَّسَق ذو دلالة مضمرة، وهذا النَّسَق ليس مرتبطاً بالمؤلف ولا بالمتلقي، وليس من ابتداع وابتكارهما، إنّما هو ناشئ من الدلالة الجمعية والقيمة الجماعية لهذا النص أو ذاك، وبالتالي يتساوى الجميع في فهم تلك الدلالة الثقافيّة وتلقيها، والنَّسَق خفي ومضمر، وهو ذو طبيعة سردية، ويمر النَّسَق عموماً تحت مظلة البلاغة والجمال: "وهو ما يدفعنا للتمتع بنص ما حتى لو لم يكن يوافق ما نؤمن به، وذلك نتيجة لقوة ذلك النَّسَق الثقافيّ، وترتبط الأنساق الثقافيّة بطبيعتها التاريخية التي لا تنتهي، فهي موروثة باعتبار الشعوب المتوالية، وهو تورية ثقافيّة تحرك المضمر الجمعي للأمة برمتها"[2].

ويسير الغذامي في مفهومه للنسق الثقافيّ تبعاً لما أنجزه (رومان ياكبسون) من طريقة الاتصال القائمة على مكونات الرسالة اللغوية التي تتكون من مرسل ومستقبل ورسالة وأضاف إليها الغذامي النَّسَق الثقافيّ الذي تنتمي إليه تلك الرسالة اللغوية"[3].

ويعرّف (عبد الفتاح كيليطو) النَّسَق الثقافيّ بقوله:" مواضعة اجتماعية، دينية، أخلاقية تفرضها في لحظة معينة من تطورها الوضعية الاجتماعية التي يقبلها ضمنيا المؤلف وجمهوره"[4]. والربط واضح بين النسق والمجتمع بمعنى أنَّ النسق الثقافيّ لا بدّ له من إطار اجتماعيّ يسير وفقه، ويكون وعاءً لنشأته وتطوّره وحضوره له من سياق اجتماعيّ يرتبط به في الخطاب الأدبيّ.

ويعرف (محمد مفتاح) النَّسَق الثقافيّ بأنّه: "انتظام بنيوي يتناغم وينسجم فيما بينه ليولد نسقاً أعم وأشمل، وعلى سبيل المثال يصف المجتمع بأنه نسق اجتماعي ينتج عنه مجموعة أنساق فرعية انتظمت معه وشكلته، فتولد عنه نسق سياسي وآخر اقتصادي، وعلمي وثقافيّ تنسج علاقاتها فيما بينها في مسافات متفاعلة ومتداخلة"[5].

ويعتمد النّقد الثقافيّ على العنصر النَّسَقي تحديداً باعتباره مقوماً أساسياً لتشكيل بنية هذا النوع من النّقد، والعنصر النَّسَقي هو الذي يقوم بأداء الرسالة بين المرسل والمرسل إليه، وغالباً ما يكون النَّسَق الثقافيّ المنوط بالعمل الأدبي مضمراً، وهو ليس في وعي الكاتب والمتلقي على حد سواء، ولقد وُجِد هذا النَّسَق اعتماداً على تراكم العمليات الثقافيّة غير أنّه يمكن الكشف عن هذا النَّسَق من خلال التورية

---

1. أسعد، أماني علي سلامة(2022). أنساق الهامش: دراسة سيميوثقافيّة في نماذج من الرواية العربيّة، مجلة الأندلس، 8 (33)، ص159

2. الغذامي. النّقد الثقافيّ قراءة في الأنساق الثقافيّة العربيّة، ص: 76 – 80، [بتصرف].

3. المرجع نفسه، ص71.

4. كيليطو، عبد الفتاح (2000). المقامات، السرد والأنساق الثقافيّة، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي ط1، الدار البيضاء: دار توبقال ص8.

5. مفتاح، محمد (2007). القراءة النَّسَقية: سلطة البنية ووهم المحايثة، ط1، الجزائر: منشورات الاختلاف، ص116.

الثقافيّة، وتنشأ هذه التورية من خلال ازدواجية في دلالة الكلمة، انطلاقاً من الدلالة العميقة والدلالة المضمرة[1].

يعني ذلك أن ما يصل إليه المتلقي من خلال الرسالة الثقافية التي يأتي بها المتكلم إنما هو ناشئ من فهم داخلي لطبيعة الدلالة المضمرة لتلك الرسالة، اعتماداً على سياقها الثقافي المعهود لدى هذين الطرفين.

والأنساق الثقافيّة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنّقد الثقافيّ؛ لأنها مادته التي تحركه، وتظهر إمكانياته القادرة على إظهار مكانته من خلال تعامله مع النصوص، وهي القادرة على ربط تلك النصوص بالموروثات والتراكمات الثقافيّة المتنوعة والممتدة في الأجيال والموروثة إرثاً تاريخياً مستمراً[2].

ويظهر من خلال ما سبق أنَّ النّقد الثقافيّ نوع من ربط النصوص الأدبية بالتراكمات الثقافيّة التي يعشها شعب ما، أو أمة برمتها، والوقوف عند حدود الدلالات الثقافيّة لتلك النصوص في دلالاتها العميقة والكلية، لا يمكن النظر إليها وفق المنظور السطحي المباشر، في حين تمثل عناصر الموروثات الثقافيّة أنساقاً يعتمد عليها الناقد الثقافيّ عند نقده للنصوص؛ لتبيان المجازات الكلية، والتورية النَّسَقية التي اشتملت عليها النصوص وفقاً لمنجزات الثقافة المنوطة بهذا النّقد.

وصفوة القول أنَّ المقصود بالنَّسَق الثقافيّ ذلك الإطار الثقافيّ المنتظم الذي يرتبط بالعمل الأدبي من جهة واحدة من الجهات، وينتمي للسياق الثقافيّ المحيط بهذا العمل، فمثلاً حينما نتحدث عن النَّسَق السيادي فهذا يعني أنّ ما يقوله النص خاضع لعناصر السيادة التي ترتبط بالمجتمع من حوله، وبالتالي يتوجب على الناقد أنْ يجد حلقة اتصال وثيقة بين فكرة هذا النَّسَق من جهة، والخطاب الأدبي من جهة ثانية.

وقد واجه النّقد الثقافيّ نوعاً من الانتقاد والدعوة لعدم الأخذ به، بل وُجِّهت بعض الانتقادات للغذامي نفسه، الأمر الذي أفضى بكثير من النقاد والباحثين العرب إلى التوجس تجاه هذا اللون النّقدي الجديد، وكانت تلك الخيفة ناشئة من طبيعة هذا اللون النّقدي الجديدة، والإنسان عموماً يخاف من الجديد؛ لأنه لم يسبق له تجربته، ولا يعلم النتائج المتوقعة منه، وبالتالي فإن مجتمعاً عربياً محافظاً يخشى على مكوناته من الخلخلة في ظل هذا النّقد الجديد، علاوة على التفكير أن الفكر الغربي المنوط بهذا اللون النّقدي يحمل في ثناياه دعوات التحرر والابتعاد عن مظاهر الالتزام الثقافيّ العربي، انطلاقاً من كون الثقافة العربيّة تختلف اختلافاً كلياً عن الثقافة الغربية"[3]. ويقترح توجيه مكونات النّقد الثقافيّ لخدمة الثقافة العربيّة، إذ إنَّ معطيات هذا المنهج لا تقتصر على الثقافة الغربية فحسب، والنّقد الثقافيّ حلقة جديدة من حلقات التطور النّقدي يحسن الأخذ بها، والنظر في طبيعتها، والإفادة من مضامينها.

الخاتمة

نشأ النقد الثقافي عند الغرب كردّة فعل على مجموعة من المناهج اللغوية التي سادت في الدرس النّقدي حتى نهايات القرن العشرين كالبنيوية والتفكيكية واللسانيات التي نزعت النصوص من سياقاتها

---

[1]. الغذامي: النّقد الثقافيّ قراءة في الأنساق الثقافيّة العربيّة، ص: 64، 71، [بتصرف].

[2]. الزهراني، إبراهيم محمد إبراهيم (2012). الأنساق الثقافيّة في مجمع الأمثال للميداني (دراسة تحليلية)، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ص7، [بتصرف].

[3]. الأنصاري، يوسف عبد الله (2008). النّقد الثقافيّ وأسئلة المتلقي، ورقة عمل، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، بتصرف.

وأنساقها المحيطة بها، واكتفت بالنظرة اللغوية التركيبية لتلك النصوص، وبالتالي كان من الواجب ظهور مثل هذا المنهج للعودة بتلك النصوص إلى أطرها الثقافيّة مما يعني أنّ الغرب قد اكتسبوا من النّقد الثقافيّ ربطاً للخطاب الأدبي بسياقاته الثقافيّة المأخوذة من عناصر الثقافة الواسعة التي تحيط بأبناء تلك البيئة اللغوية.

وكان للناقد الغربي ليتش الريادة في نشأة النقد الثقافي غربياً وللناقد العربي عبد الله الغذامي الريادة في نشأة النقد الثقافي عربياً، ويرتبط مصطلح النقد الثقافي بإبراز أثر الثقافة والأنساق الخارجية، وما يناظرها في الأنساق الداخليّة في الوصول إلى تشكيل موقف عامّ تجاه النص الأدبيّ مستمدّ من عناصر الثقافة التي تناولها هذا الناقد أو ذاك.

وإن النّقد الثقافيّ نوع من ربط النصوص الأدبية بالتراكمات الثقافيّة التي يعشها شعب ما، أو أمة برمتها، والوقوف عند حدود الدلالات الثقافيّة لتلك النصوص في دلالاتها العميقة والكلية، ولا يمكن النظر إليها وفق المنظور السطحي المباشر في حين تمثل عناصر الموروثات الثقافيّة أنساقاً يعتمد عليها الناقد الثقافيّ عند نقده للنصوص؛ لتبيان المجازات الكلية والتورية النَّسَقية التي اشتملت عليها النصوص وفقاً لمنجزات الثقافة المنوطة بهذا النّقد.

قائمة المصادر والمراجع

أسعد، اماني علي سلامة (2022). أنساق الهامش: دراسة سيميوثقافيّة في نماذج من الرواية العربيّة، مجلة الأندلس، 8، (33).

الأنصاري، يوسف عبد الله (2008). النّقد الثقافيّ وأسئلة المتلقي، ورقة عمل، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

التميمي، عبد الله حبيب، والشجيري، سحر كاظم (2014). سيرورة النّقد الثقافيّ عند الغرب، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، العدد22، ج(1).

التوتنجي، محمد (1993م). المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، الطبعة الأولى.

الحجيلان، ناصر (2009م). الشخصيّة في قصص الأمثال العربيّة (دراسة في الأنساق الثقافيّة للشخصيّة لعربيّة)، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء.

الحربي، عبد الله مطلق (2013). الأنساق الثقافيّة في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (213 – 276هـ، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك.

حفناوي، بعلي (2007). مدخل في النّقد الثقافيّ المقارن، ط1، الجزائر: منشورات الاختلاف.

حمداوي، جميل (2012). النّقد الثقافيّ بين المطرقة والسندان، مقالة على الشبكة العالمية للمعلومات، موقع ديوان العرب.

دليلة، بوغديري(2020م). الأنساق الثقافيّة بين النظرية والتطبيق من منظور عبد الله الغذامي، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد (2002). دليل الناقد الأدبي، ط3، الدار البيضاء: المركز الثقافيّ العربي.

الزهراء، خلوفي ومحمد قريبيز(2022). السياقات الثقافيّة العربيّة والأنساق المضمرة رواية مالم تحكمه شهرزاد القبيلة (نموذجاً)، مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربيّة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 14، ج (2).

الزهراني، إبراهيم محمد إبراهيم (2012). الأنساق الثقافيّة في مجمع الأمثال للميداني، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك.

سعيد، إدوارد (1984م). الاستشراق، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت: لبنان، ط(2).

الشجري، سحر كاظم (2017). جدلية الأنساق الثقافيّة المضمرة في النّقد الثقافيّ، ط1، دمشق: دار الحوار.
الشرقات، عبد الله عابد. النّقد الثقافيّ: المصطلح، المفهوم، المرجعيات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز القومي للبحوث غزة، 5 (2).
الشمري، محمد لافي(2009). مجهود الغذامي في النّقد الثقافيّ بين التنظير والتطبيق، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن.
صالح، بشرى موسى(2012م). بويطيقيا الثقافة نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
عبد الباسط، طلحة (2021). النّقد الثقافيّ النشأة والتطور، مجلة كفاية للغة والأدب، العدد(1)، ج(2).
عليمات، يوسف (2009). النسق الثقافي، قراءة في أنساق الشعر العربي القديم، ط1، إربد: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
عمر، أحمد مختار (2008م). معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، القاهرة: مصر، ط(1).
الغذامي، عبد الله محمد (2005). النّقد الثقافيّ قراءة في الأنساق الثقافيّة العربيّة، ط (2)، بيروت، والدار البيضاء: المركز الثقافيّ العربي.
قاصد، حسين (2013). النّقد الثقافيّ ريادة وتنظير، العراق رائدا، ط1، القاهرة: التجليات للنشر والترجمة والتوزيع.
كريب، إيان(1999م). النظرية الاجتماعيّة من بارسونز إلى هابرماس، تر: محمد حسين غلوم، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع244.
كيليطو، عبد الفتاح (2000).السرد والأنساق الثقافيّة، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي ط1، الدار البيضاء: دار توبقال.
محمدي، حسين حاج (2019م). مدرسة برمنغهام، ماهيتها ورؤاها في بوتقة النقد والتحليل، ترجمة: أسعد مندي الكعبي، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت: لبنان.
مفتاح، محمد (2007).القراءة النَّسَقية: سلطة البنية ووهم المحايثة، ط1، الجزائر: منشورات الاختلاف.
مناصرة. عزالدين (2014). الهويات والتعددية اللغوية، قراءات في ضوء النّقد الثقافيّ المقارن، ط1، عمان: الصايل للنشر والإشهار.